أدبُ السَّـمرِ
مصنَّفاتُه وموضوعاته وخصائصه

Literature of Entertainment
Classifications , themes and characteristics

د. محمود الحسن

Dr. Mahmoud El Hassan

Keywords: Abbasid / Entertainment literature/ classifications

ملخص البحث

يسعى هذا البحثُ إلى التعريف بأدب السمر، وما يحتويه من كنوز معرفية وأدبية، تُغذِّي العقل بالحكمة والمعرفة والتجارب، كما تُلبِّي حاجة النفس الإنسانية إلى التسلية والمرح والاطلاع على العجائب والنوادر.

وفيه سأتحدّث عن مناهج التصنيف في كتب السمر، وأهمّ الموضوعات التي يدور حولها، إضافة إلى تعليقات نقدية توضِّح أهمية هذا الفن في مجال التعليم، واحياء المذاكرة في المجالس، وتحلية المحاضرات والدروس بالفوائد والطرف.

.

Abstract

Research Summary

This research seeks to introduce the entertainment literature and its contents of knowledge and literary treasures that nourish the mind with wisdom, knowledge and experiences, as well as the need of human soul for entertainment and fun and to get to know the wonders and miracles.

I will discuss the methods of classification in entertainment books and the most important topics that revolve around it in addition to critical comments explaining the importance of this art in the field of education and revive discussions in entertainments circules and to mix those lectures with advantages and funs.

المقدمة

المقدمةُ:

كثرتْ في العصر العباسي المصنفاتُ الأدبية التي جمع فيها أصحابُها ما استجادوه من الفنون النثرية والشعرية، وما وصلهم من عجائب الحكايات والأخبار، وما سمعوه من لطائف الحكمة والمواعظ والأمثال، ودقائق التجارب والمواقف، وما تلقَّفوه من محاسن الطرف والنوادر، وما انتهى إليهم من عصارة الأفكار وأحاسيس القلوب.

ومن أهمّ المصنفات التي اعتنت بالآداب والأخبار والنوادر والطرف: الشعر والشعراء وعيون الأخبار لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، والكامل للمبرد (ت ٢٨٦هـ)، والبيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، والعقد الفريد لابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ)، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، والأمالي لأبي علي القالي (ت ٣٥٦هـ)، وزهر الآداب للحُصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ)، والعمدة لابن رشيق (ت ٤٦٣هـ)، ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (ت ٧٣٣هـ) وغيرها، إضافة إلى بعض كتب التراجم التي اهتم أصحابها بالآداب والأخبار والحكايات كمعجم الأدباء لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، والوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ).

وقد تميَّزت المصنفات السابقة عامة بميل أصحابها إلى تدوين الأخبار والحكايات والنوادر رغبة منهم في الترويح عن النفوس ودفع الملل، وتنشيط القارئ، وتسلية المُطالع، إضافة إلى تزويد القارئ بما فيها من عِلمٍ وحِكَم وعِبَر وتجارب وآداب.

وفي المُقابِل ظهرت مصنفات تخصَّصت في أدب السمر وتدوين ما يتداوله الناس في مجالسهم ونواديهم من ألوان الحكمة والمواعظ، والفنون والآداب، والفكاهة والمُزاح، والأخبار والحكايات.

فمنها ما تخصَّص في جانب واحد، كما في كتاب البخلاء للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، وأخبار الحمقى والمغفّلين لأبي العيناء (ت ٢٨٣هـ)، وطبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار لابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ)، وعقلاء المجانين لابن حبيب النيسابوري (ت ٤٠٦هـ)، وقطب السرور في أوصاف الخمور للرقيق القيرواني (ت ٤٢٥هـ)، والتطفيل وحكايات الطفيليين للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، ومصارع العشاق للسَّرّاج القارِي (ت ٥٠٠هـ)، ومنازل الأحباب للشهاب محمود (ت ٧٢٥هـ)، وديوان الصبابة لابن أبي حجلة المغربي (ت ٧٧٦هـ)، وتزيين الأسواق في أخبار العشاق لداوود الأنطاكي (ت ١٠٠٨هـ) وغيرها.

ومنها ما اشتمل على ألوان الثقافة والحكمة، وضمَّ أنواع الحكايات والأخبار، واحتوى كل ما استظرفه المصنِّف من الآداب والنوادر، كالتحف والظرف لابن عبد المغيث الدارمي (ت ٣٧٨هـ)، والفرج بعد الشدة، ونشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، والمُستجاد من فعلات الأجواد، للقاضي التنوخي (ت ٣٨٤هـ)، والجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي للمعافى بن زكريا (ت ٣٩٠هـ) الذي يُعرَف اختصارًا بالجليس والأنيس، والبصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (ت ٤١٤هـ)، وجمع الجواهر في الملح والنوادر للحُصْري القيرواني (ت ٤٥٣هـ)، وبهجة المجالس لابن عبد البَرّ القرطبي (٤٦٣هـ)، وربيع الأبرار للزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون (ت ٥٦٢هـ)، والمقتطف من أزاهر الطرف لابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ)، والتذكرة الفخرية لبهاء الدين الإربلي (ت ٦٩٢هـ)، وحدائق الأزاهر لأبي بكر بن عاصم الغرناطي (٨٢٩هـ)، والمستطرف للأبشيهي (ت ٨٥٢هـ) وغيرها.

وقد صرّح أصحاب المصنفات السابقة بأنَّ غرضهم هو جمع مادة أدبية تصلح للسمر والمذاكرة في المجالس والنوادي، تحوي الجِدّ والمعرفة، والهزل والفكاهة، وغرائب الحكايات، وعجائب الأخبار.

والغالب على كتب السمر، من حيث المنهج، أنْ تكون

أبوابها شكلية، وأنْ تكون مادتها موّزعة على غير نظام، وذلك بسبب تداخل الأخبار والحكايات والنوادر والأشعار، واعتماد التصنيف بحسب ما يرد في ذهن المصنِّف. قال المعافَى بن زكريا متحدِّثًا عن مضمون كتابه:

وقد سميت كتابي «الجليس الصّالح الكافي والأنيس الناصح الشافي»، وأودعته كثيرًا من فنون العلوم والآداب، على غير حصر بفصول وأبواب، وضمنته كثيرًا من محاسن الكلام وجواهره، وملحه ونوادره، وذكرت فيه أصولاً من العلم أتبعتُها شرح ما يتشعّب منها، ويتصل بها، بحسب ما يَحضر في الحال، ممّا يُؤمن معه الملال.(١)

فصاحب كتاب «الجليس والأنيس» يُصرِّح بأنَّ كتابَه لم يُرتَّب في فصول وأبواب تتضمَّن موضوعات مستقِلّة، ومختارات ذات منحًى واحد، وإنّما عرض مادته بحسب ترتيب حضورها في ذهنه، وبحسب المناسبات التي كانت تعرض له فتستدعي ما يتصل بها من المختارات والمحفوظات، يُضاف إلى ذلك أنَّ اعتماد المصنِّفين على حفظهم وذاكرتهم في املاء المادة التي تتضمّنها كتبُهم قد جعلهم يتصرّفون في الألفاظ والعبارات، ولا يتقيَّدون بدقة الرواية، وخاصة فيما يتصل بالحكايات.

وقال ابن عبد البر القرطبي متحدثًا عن كتابه بهجة المجالس:

وقد جمعت في كتابي هذا من الأمثال السائرة، والأبيات النادرة، والحكم البالغة، والحكايات الممتعة في فنون كثيرة وأنواع جمة، من معاني الدين والدنيا، ما انتهى إليه حفظي ورعايتي، وضمَّته روايتي وعنايتي، ليكون لمن حفظه ووعاه، وأتقنه وأحصاه، زينًا في مجالسه، وأُنسًا لِمُجالِسه، وشحذًا لذهنه وهاجسه، فلا يمرُّ به معنى في الأغلب ممّا يُذاكَر به، إلاّ أورد فيه بيتاً نادرًا، أو مثلاً سائرًا، أو حكاية مستطرفة، أو حكمة مستحسنة، يَحسُنُ موقعُ ذلك في الأسماع، ويَخِفُّ على النفس والطباع، ويكون لقارئه أُنسًا في الخلاء، كما هو زين له في الملاء، وصاحبًا في الاغتراب، كما هو حَلي بين الأصحاب.(٢)

فابن عبد البر يُبيِّن أنَّ الغرض من كتابه هو تزويد القارئ بما يحتاج إليه من الفنون والآداب والحكم والمواعظ والحكايات، التي يطلبها الناس في مجالسهم، ويتذاكرون بها في سمرهم وأُنسهم، كما أنَّ كتابه يُغني في رأيه عن الجليس والصاحب، ويُؤنس قارئه بما فيه من روائع الحكايات، وعجائب الأخبار.

ونصل إلى الزمخشري الذي صنَّفَ في أدب المجالس كتابَه «ربيع الأبرار» في ثمانية وتسعينَ بابًا، وتناولَ في كلِّ باب موضوعًا من موضوعات الحياة والأديان والأخلاق والظواهر الطبيعية والجغرافية والفلك وغيرها، وكان يجمع في كل موضوع ما يتّصل به من أحاديث النبي صلى الله عليه (واله) وسلم، وأقوال الصحابة والتابعين، وما رُوِي عن الأنبياء والزُّهّاد والحكماء والشعراء، وكان يسرد قصصًا مُسلِّية وأخبارًا متّصلة بتاريخ العرب وملوكهم وخلفائهم وأمرائهم وقوادهم ومُغنّيهم وشعرائهم.(٣)

وقد أوضَحَ الزمخشري في المقدمة محتوى الكتاب، والغرضَ من تأليفه، فقال: «هذا كتابٌ قصدتُ به اجمامَ خواطرِ النّاظرينَ في (الكشّاف عن حقائق التنزيل)، وترويحَ قلوبِهم المتعبةِ بإجالة الفِكر في استخراج ودائعِ علمه وخباياه، والتَّنفيسَ عن أذهانهم المَكدودةِ باستيضاحِ غوامِضِه وخَفاياه، وأنْ تكون مطالعتُه ترفيهًا لِمَن مَلَّ، والنظرُ فيه احماضًا لِمَن اختَلَّ، فأخرجتُه لهم روضةً مُزهرة، وحَديقةً مُثمرة... نزهةُ المستأنِس، ونُهزةُ المُقتبِس، مَن خلا به استغنى عن كلِّ جَليس، ومن أنِسَ به سلا عن كلِّ أنيس... إنْ أردتَ السَّمَر فيا لَه من سَمير، وإنْ طلبتَ الخَبرَ فقد سَقطتَ على خَبير، وإنْ بَغيتَ العِظاتِ المُبكيةَ ففيه ما يُشرِقُ بالدمعِ أجفانَك، أو المُلَحَ المُضحكةَ ففيه ما يَفِرُّ بضاحكةِ أسنانِكَ».(٤)

ومن مصنفي أدب السمر من اعتمد منهجًا يتميَّز عن مناهج الآخرين، كما فعل إبراهيم البيهقي (ت نحو ٣٢٠هـ) في كتابه «المحاسن والمساوئ»، إذ وزّع مادة كتابه تحت موضوعات متنوّعة تشمل كل نواحي الحياة، ذاكرًا في كل موضوع ما يتصف به من محاسن ومساوئ، ففي موضوع الفقر مثلاً يذكر أولاً ما تحصَّل لديه من حكم وأقوال وأخبار وحكايات وأشعار تمتدح الفقر وتدور حول محاسنه، ثم يُتبِعها بتلك التي تذمُّ الفقر وتدور حول مساوئه. وكذلك الشأن في معظم موضوعات الكتاب، ما عدا تلك التي تتصف بالحُسن، وتخلو من المساوئ، كمحاسن النبي صلى الله عليه (واله) وسلم...

يقول البيهقي متحدِّثًا عن مضمون كتابه: «فقد اشتمل على محاسن الأخبار وطرائف الآثار، وترجمناه بكتاب «المحاسن والمساوئ»، لأنَّ المصلحة في ابتداء أمر الدنيا إلى انقضاء مدتها امتزاجُ الخير بالشر، والضارِّ بالنافع، والمكروه بالمحبوب، ولو كان الشر صرفًا محضًا لهلك الخلق، ولو كان الخير محضًا لسقطت المحنة، وتقطَّعت أسباب الفكرة، ومتى بطل التخيير وذهب التمييز لم يكن صبر على مكروه، ولا شكرٌ على محبوب، ولا تعامُلٌ ولا تنافس في درجة».[٥]

والذي يُطالع مصنَّفات السمر يستوقفه المنهج الفريد، الذي اعتمده ابن سعيد المغربي في كتابه «المُقتطَف من أزاهر الطُّرَف»، بتوجيه من الملك الناصر الأيوبي في حلب، إذ يتضمّن كتابه «المُقتطَف» مختارات متنوّعة من الشعر والنثر والموشحات والأزجال، جمعها ابن سعيد من المكتبات والخزائن التي طالعها في أسفاره ورحلاته.

وتتوزَّع هذه المختارات على أربعة فصول، بعدد فصول السنة، وكل فصل يتألّف من ثلاث خمائل، مجموعها اثنتا عشرة خميلة، بعدد شهور السنة، وكل خميلة تتألّف من أربع طبقات، بعدد أسابيع الشهر، وكل طبقة تحوي لونًا من ألوان المختارات المتنوّعة التي تضمّنها الكتاب[٦].

فالكتاب في تصوّر مُصنِّفه يُمثّل روضة تنبتُ فيها أجمل الورود. وخمائلها الاثنتا عشرة تعني أنَّ هذه الروضة تبقى زاهية متألقة طوال العام، والقارئ ينعم في ظلالها على مرور الأيام، بما يتلقَّفه فيها من ثمار الحكمة والمعرفة، وما يرتشفه من رحيق التجارب، وأحاسيس الروح، ونفحات الوجدان، وما ينسكب في سمعه وفؤاده من نغمات الحروف، وموسيقا الكلمات، وألحان القوافي.

ولعل السمة الغالبة على أدب السمر هي الايجاز، فقد دأب المصنفون على تدوين الأخبار والحكايات والأقوال والنوادر التي يغلب عليها القِصَر وبلاغة الأسلوب وغزارة المعاني. وفي هذا الشأن ذكر ابن سعيد المغربي أنَّه التقى بالأعلم البطليوسي في إشبيلية وطلب منه أنْ يقرأ عليه كتاب الكامل للمبرد، فقال له الأعلم: أنصحُك أم أدعُكَ لهواك؟ فقال ابن سعيد: بالنُّصح انتفعُ. فقال: إنْ كان غرضُكَ اقراءَ الأدبِ والاشتهارَ بكُتُبِه فعليك بأركانِ الأدب الأربعة: البيان للجاحظ، والكامل للمبرد، والأمالي للقالي، والزَّهر للحصري، وإنْ كان غرضُك أنْ تكونَ أديبًا مُحاضرًا بِمُلَحِ الأعرابِ فعليكَ من النثر والنظم والحكاية بما قَصُرَ مداه وراقَ لفظُه وأغربَ معناه، واتَّخِذْ إمامًا قولَ الله تعالى: {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ} [الزمر: ١٨]، واخترْ ما أشار إليه سيدُ الشعراء في قوله:

ذُكِرَ الأنامُ لنا فكانَ قَصيدةً
كنتَ البديعَ الفَرْدَ من أبياتِها[٧]

فالمصنفات التي تُعنى بأدب السمر تحوي أنواعًا مختلفة من الحكايات والأخبار والنوادر والآداب، ويختلف مضمونها ومحتواها بحسب ثقافة المصنِّف واهتماماته الخاصة، ولكنّها مع ما تتصف به من اختلاف في الموضوعات والمحتوى تكاد تتفق في احتوائها على

الجدّ والهزل، والعلم والفكاهة، والفائدة والتسلية.

ولعلَّ أهمّ ما تتميَّز به مصنفات السمر هو كثرة موضوعاتها وفصولها، بحيث تستوفي كل ما يتصل بحياة الإنسان وعاداته وأفعاله وسلوكه وميوله وأهوائه وظروفه وعلاقاته وتأمّلاته ومشاهداته. ويُمكن حصر الموضوعات عامة في أربعة: الحِكَم والمواعظ والوصايا، وحُسن الكلام ولُطف التدبير، وعجائب الحكايات والأخبار، والمُلَح والنوادر والطُّرَف، مع الأخذ بالاعتبار أنَّ هذه الموضوعات يغلب عليها أنْ تكون متداخلة يمتزج بعضها ببعض، ولهذا لا يمكن وضعها ضمن أبواب أو فصول متميّزة.

وفيما يلي حديث عن الموضوعات التي يدور حولها أدب السمر، والخصائص الفنية التي يتصف بها، مع ما يستلزم ذلك من توضيحات وتعليقات، تعمَّدت أنْ تكون موجزة، حرصًا على المتعة والتشويق، ورغبة في أنْ يجد القارئ الكريم مادة مسلِّية، تكسر الصرامة التي تتصف بها عادةً البحوث المتخصِّصة.

الحِكَم والمواعظ والوصايا

تحتفظ مصنفات السمر بتراث عظيم من الحِكَم والمواعظ والوصايا، التي رُويت عن النبي صلى الله عليه (واله) وسلم ، وعن الأنبياء عليهم السلام والحكماء والعلماء والملوك والخلفاء والوزراء والقضاة والقادة وغيرهم من العظماء والمفكّرين. وهذه الحكم تمثِّل كنوزًا ثمينة تُسهِم في بناء العقل، وتزويده بالتجارب، واغنائه بالمعاني والصور، وتمكين الإنسان من حفظ الألفاظ، والتعمق في المعاني، والتمرّس في فهم الأساليب البلاغية ومحاكاتها.

وتمتاز الحكم والمواعظ المدوَّنة في مصنَّفات السَّمر بالايجاز والشمول على نحو قول النبي صلى الله عليه (واله) وسلم: «الدُّنيا دارُ مَن لا دارَ لَهُ، ومالُ مَن لا مالَ لَهُ، ولَها يَجمَعُ مَن لا عَقلَ لَهُ»[٨]. ففي هذا القول حكمةٌ عظيمة تشتمل ألفاظها القليلة على حقيقة الدنيا وأوصافها في عيون العقلاء، فهي وإنْ كانت تزدهي بزينتها، وتستميل القلوب إلى التعلّق بجمالها، وتُغري الإنسان بأنْ يستكثر من متاعها ويسعى إلى امتلاك كنوزها والتلذُّذ بنعيمها، إلاّ أنّها برّاقة خدّاعة، نجمُها آفل، ونعيمُها زائل، وكنوزها سراب، وكل ما فيها إلى ذهاب.

فالعاقل يتمتع بها وهو يعلم أنّها دار ألجأته إليها الضرورة، أو كهف احتمى به ريثما تصفو السماء وينقطع المطر، أو ظل أوى إليه ليستريح ثم يتابع السفر، يسير فيها كما يسير المرء في طريق موحلة وهمّه ألاّ يتجاوز الطينُ نعلَه، وألاّ ينزلق فتتلطخ ثيابه وتسوء حاله، وأمّا الجاهل المخدوع فيتخذها مستقرًّا وسَكَنًا، ويرتع في نعيمها، ويغمس نفسَه في متاهاتها، ويُرهقها في جمع الأموال وتحصيل الثمار، وهو لا يدري أنّها ستقذفه إلى حُفرةٍ ضيِّقة، حيث يتربّص به الفناءُ والزوال.

ومن الحكم والوصايا التي ذكرها النبي صلى الله عليه (واله) وسلم قوله: «إذا صلح القلب صلح الجسد»[٩] . ففي هذه الكلمات القليلة حكمة ثابتة، لا يغيِّرها تتابع الأزمان، ولا يُبطلها اختلاف المكان، وهي مع ايجازها شملت كيان الإنسان وعالَمه، وما يدور في وجدانه، وما يظهر من أفعاله، فالقلب إذا صلح بنور الإيمان وحُسن الاعتقاد وصواب الاختيار، وارتوى بالفضائل والخلق، فسوف يُزهر الخير في سلوك الإنسان، وتتجه خطواته إلى صالح الأعمال.

وهذه الحكمة على ايجازها تتضمّن إشارة أيضًا إلى أنَّ فساد القلب يؤدي إلى فساد الجسد، فالقلب هو الموطن الذي تستقرّ فيه أنوار الإيمان أو ظلمات الكفر، وخواطر الخير أو دوافع الشر، ثم ينعكس ما استقر في القلب على أفعال الإنسان وسيرته وأخلاقه.

ومعظم مصنفات السمر تبدأ باب الحِكَم والمواعظ والوصايا بما أُثر عن النبي صلى الله عليه (واله) وسلم

، وما نُقِل عن الأنبياء والصالحين من الأمم السابقة، وفي هذا الشأن يُروى عن داوود عليه السلام قوله: «لا تستبدلَنَّ بأخٍ لكَ قديمٍ أخًا مُستفادًا ما استقامَ لك، ولا تستقلَّ أن يكون لك عدوٌ واحد، ولا تستكثرْ أن يكونَ لك ألفُ صديق» [١٠]. ففي هذه الحكمة توجيه للإنسان أنْ يُحافظ على إخوانه، وأن يكون وفيًّا لهم، وألاّ يستبدلهم بغيرهم ما داموا أوفياء، يُخلصون له في الودّ والصحبة، وإذا وجد مَن يمنحه الأُخوةَ الصادقة فليتمسَّكْ به دون أنْ يتخلّى عن إخوانه، فالإنسان قليل عليه أنْ يحظى بألف صديق، وكثير عليه أنْ يكون له عدو واحد. إنّها كلمات قليلة، ومع ذلك اشتملت على كل مبادئ الصحبة، وأصول التعامل بين الناس، وفيها اغراء بالتقرّب إليهم، وتحذيرٌ من معاداتهم وايذائهم.

وفي هذا المعنى قال زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهم: «إياكَ ومعاداةَ الرجال، فإنّك لن تَعدَمَ مكرَ حليم، أو مفاجأةَ لئيم» [١١]. فهذا القول الموجز يختصر كلَّ ما يُبتغى من حُسن السلوك، والحكمة في مداراة الناس، وتجنُّب معاداتهم، فهو حين حذَّر من معاداة الرجال استوفى أصنافهم، فكانوا بين حليم لا يُستهان بمكره، ولئيم لا تُتَّقى مفاجأتُه، فلا شكّ أنَّ مَن يُعادي الرجال لا بدَّ أنْ يخسر راحة باله، واطمئنان نفسه، وسكينة روحه، وهدوء وجدانه، ثم يكون عُرضةً للأذى من حليم يدبِّر المكائد ويحيك خيوطها، أو لئيم لا يملّ التربُّص ولا يتوانى في تعقُّب مَن عاداه إلى أنْ يُوقِع به الأذى والضَّرّ.

ومن الحكم التي تصبّ في مجال الصحبة، واختيار الصديق، قول الإمام عليّ رضي الله عنه: «لا خيرَ في صحبةِ مَن إذا حدَّثْتَه كذَبَك، وإذا حدَّثْتَه كذَّبَك، وإنْ ائتمنتَه خانَك، وإنْ ائتمنكَ اتَّهمَك، وإنْ أنعمتَ عليه كفرَك، وإنْ أنعمَ عليك مَنَّ عليك» [١٢]. فمثل هذه الحكمة تتداولها مصنفات السمر، نظرًا إلى أنّها مع ما تتصف به من ايجاز تجمع كل الصفات السيئة التي ينبغي على الإنسان أنْ يتنبّه إليها عند اختيار الصديق. فأي خير وأية فائدة في صحبة من يكذب ويخون ويُنكر الفضل والنعمة، يُضاف إلى ذلك أنَّ مَن يتصف بالأوصاف السابقة فسوف يتهم صاحبَه بأنّه منغمس بها أيضًا، وهيهات أنْ تستمرَّ الصحبة، وينبت فيها الود والاخلاص، ويُرتجى منها الخير والأُنس، مع صاحبٍ خلقُه الكذب، وطبعه الخيانة، وشيمته انكار فضل مَن يُؤاخيه، ويشكّ في صدقه وأمانته ويُعيِّره بأنّه مدين له فيما قدَّم له من فضل مهما كان قليلاً.

وباب الحكم والوصايا واسع جدًّا، يستوعب كل مجالات الحياة وجوانبها، فهو يتصل بحياة الملوك والسلاطين وأولي الشأن والنفوذ، كما يُغطّي العلاقات بين عامة الناس، ويتناول تفاصيلها وجزئياتها، ولا يكاد يُغادر مسيرة الإنسان وهو يتفرّد مع ذاته ووجدانه، متضرِّعًا إلى ربّه، متأمّلاً عظمة الكون ودقةَ بنائه، متطلعًا إلى الخلود الأبدي فيما وراء الحياة.

فمما يتصل بسياسة الملك وأخلاق السلاطين ما يُروى عن عيسى عليه السلام أنّه قال: «لا ينبغي للسلطان أنْ يغضبَ، إنّما يأمر فيُطاع، ولا ينبغي له أنْ يَعجَلَ فليس يفوته شيءٌ، ولا ينبغي أنْ يظلم فإنّما يُدفَعُ الظلمُ به» [١٣]. ونُقِل عن عبد الملك بن مروان أنّه قال: «أربعة لا يُستحيا من خدمتهم: السلطان والوالد والضّيف والدّابة» [١٤]. وقال المأمون: «لو علم الناسُ مقدارَ لذَّتِنا بالعفوِ لتقرَّبُوا إلينا بالذنوب» [١٥]. فهذه طائفة من الحكم التي تتصل بسياسة الملك والعلاقة بين الحاكم والرعية.

وممّا يتعلَّق بتبصير الإنسان بحقيقة الدنيا والآخرة ما يُروى عن الإمام عليٍّ رضي الله عنه أنّه قال: «الدنيا والآخرة كالمشرق والمغرب، إذا قَرُبتَ من أحدهما بَعُدتَ من الآخر» [١٦]. ويُروى أنّه «قيل لراهب: متى عيدُكم؟ قال: كل يوم لا أعصي الله فيه فهو يوم عيد» [١٧].

وممّا يرتبط ببناء الإنسان واعداده ليكون مرموق المكانة، عظيم الشأن، يُشير إليه أهلُ عصره، ويقتدي

به من يأتي بعده، وصية الرشيد لابنه المأمون حيث قال له: «لا تَتَّكِلْ على أنْ تقولَ كان أبي الرشيد، واعملْ ما يَتَّكِلُ عليه مَن يقولُ كانَ أبي المأمون»[١٨]. وقيل في الحثّ على تربية الأولاد: «مَن أدَّب ولَدَه صغيرًا قرَّت به عينه كبيرًا، ومَن أدَّبَ ولدَه أرغَمَ حاسِدَه»[١٩]، وذلك لأنّ تربية الأبناء أساس لنجاحهم وعلوّ شأنهم والانتفاع بهم، وهي مدعاة لخيبة حُسّادهم وهزيمة أعدائهم.

وممّا يرتبط أيضًا بموضوع التربية هذه الوصية القيِّمة، التي تقطر بالحكمة ورحيق التجارب، والفهم العميق لأسس الحياة الزوجية، رُوي أنَّ عبد الله بن جعفر قال لابنته وهي مُقبِلة على الزواج: «يا بُنيّة، إياكِ والغَيرةَ، فإنّها مفتاحُ الطَّلاق، وإياكِ والمعاتبةَ فإنها تُورثُ الضَّغينةَ، وعليكِ بالزِّينةِ، واعلمِي أنّ أزينَ الزينةِ الكحلُ، وأطيبَ الطيبِ الماءُ»[٢٠]. فبهذه الكلمات الموجزة رسَم هذا الحكيم لابنته أسس العلاقة الزوجية، وبصَّرها بما يُسيء إلى تلك العلاقة، وما يكفل دوامَها واستمرارَها، وما أحوج نساء المسلمين إلى تمثُّل هذه الحكمة وحفظها، وتطبيق مضمونها، فهي كفيلة بادخال السعادة إلى البيوت، والطمأنينة والراحة إلى القلوب.

ولم ينسَ الحكماء أنْ يدخلوا باطن الإنسان وما يدور في نفسه، فوصفوا لكل علة دواء، ولكل حالة شفاء، وفي هذا الشأن يُروى عن أحدهم أنّه قال: «إنّي أكرهُ أنْ أرى الرجلَ فارغًا، لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة»[٢١]. فهذه الحكمة على ايجازها تتضمّن منهجًا متكاملاً في بلوغ الغايات، وتحقيق الاستقرار النفسي، وذلك لأنّ الاحساس بالفراغ هو مصدر الأوهام والوساوس التي تستولي على الإنسان، وتُلقي به في مهاوي الضعف والعجز والكآبة والشذوذ، وعلاج كل ما يظهر في النفس من ذلك يكون بشغلها بعمل نافع يجني المرء ثمرته في الدنيا، أو عبادة تُوصله إلى الراحة العاجلة والنجاة في الآخرة.

وتجدر الاشارة إلى أنَّ الكثير من الحِكَم والوصايا تُفهَم من عدة وجوه، ويستفيد منها الإنسان في أكثر من مجال، ومن ذلك ما يُروى أنَّ الخليفة المستنجِد قال: «عملتُ حسابَ لَذّتي قبلَ الخلافة، فما وصلتْ إليَّ حتى قضيتُ نُهمتي من الأمور التي لا تليقُ بها»[٢٢]. فظاهر هذا القول يدلُّ على أنَّ صاحب المكانة المرموقة لا يليق به أنْ يتعاطى ما يفعله عامة الناس من مُتعٍ لا تليق بمرتبته ومنزلته، بل عليه أنْ يجعل من نفسه قدوة لغيره في الأقوال والأفعال والسلوك، وهذا يتطلّب منه أنْ يتخلّى عن الكثير من رغباته وملذاته الشخصية.

وفي المقابل يُمكن أنْ يُقرأ هذا القول من وجه آخر، وأنْ يُوظَّف في مجال قد لا يدلُّ عليه ظاهره، إذ يُستفاد منه في تربية الأبناء واعدادهم، فالإنسان المتميِّز الذي يُشار إليه بالبنان، وترمقه العيون، وتتحدّث عن مكانته ألسنة الناس، سوف يجد نفسه مضطرًّا إلى التخلّي عمّا لا يقبله مادحوه من مساوئ الأخلاق والصفات والأفعال والأقوال، والالتزام بما يتوافق مع حُسن ظنِّهم فيه، وبذلك تكون مكانته سببًا لاستقامته، ويكون تميُّزه دافعًا له لبذل المزيد من الجهد، والسعي إلى نيل أقصى المراتب، ولهذا ينبغي على الأهل والمربين أنْ يُشيعوا في المجتمع ما يتميَّز به الأطفال والشبان من مزايا التفوّق والابداع، وأنْ يسعوا إلى ايجاد مكانة اجتماعية للمبدعين، تكون مُعينًا لهم على الاستقامة، وتوجيه هممهم إلى العمل المفيد، وتمنعهم من التراجع والانطواء، وتعزِّز في نفوسهم حبَّ القِيَم والفضيلة.

ممّا سبق يتضح أنَّ مصنفات السمر لم تُوضع للتسلية والترويح عن النفس فحسب، وإنّما تضمَّنت أزاهير الحكمة، وعصارة التجارب، ورحيق العقول، وفيها من الحكم والوصايا ما يتعلَّم منه الإنسان النجاحَ في العمل، والسعادة في الدنيا والآخرة، وما يستوعب كل مجالات الحياة وتفاصيلها. وهذه الحكم تُؤلِّف يَنبوعًا يمدُّ المجالس بما يحتاجه الناس من مادة جديّة، يتعلمون منها كيف يُصلِحون أحوالهم ومعاشهم، وكيف يتعاملون مع

غيرهم، ويرتقون في دنياهم، ويفوزون في آخرتهم.
وأهمّ خصائص الحكم والوصايا الايجاز والشمول وغزارة المعاني وبلاغة الأسلوب وصِدق العاطفة وعمق الفِكر والتجارب.

حُسن الكلام ولُطف التدبير

تُعنى مصنفات السمر برواية المواقف والأخبار التي تُنبِئ عن الذكاء في التدبير، والبلاغة في الجواب، وحُسنِ التصرف فيما يَعرض من مفاجآت ومآزق. وهذا الباب واسع جدًّا، وفيه من الطرافة والغرابة والأجوبة المُفحِمة ما يُغري القارئ بالمتابعة، ويُنشِّط الجليس للاستماع، فهو مادة تعليمية مُشوِّقة، يتعلّم منها الإنسان الفصاحةَ والبيان، ويُغذّي فِكرَه بالمعاني والقصص الطريفة، ويُشبِع ولعَ النفس بالاطلاع على الغرائب، والميل إلى التسلية.

ومن أمثلة الأخبار التي تدلّ على الذكاء وبلاغة الجواب ما رُوي أنّ زياد بن أبيه قال يومًا لحارثة بن بدر الغداني فارس تميم وشاعرها، وكان مقرَّبًا منه: «مَن أخطبُ الناس، أنا أو أنت؟ فقال: الأمير أخطب مني إذا توعَّد ووعد، وأعطى ومنع، وبرق ورعد، وأنا أخطب منه في الوفادة وفي الثناء والتحبير، وأنا أكذب إذا خطبتُ، فأحشو كلامي بزيادة مليحة شهية، والأمير يقصد إلى الحق وميزان العدل ولا يزيد فيه شعيرة ولا ينقص منه. فقال له زياد: قاتلك الله! فلقد أجدتَ تخليصَ صفتِك وصفتي، من حيث أعطيتَ نفسَك الخطابةَ كلَّها وأرضيتَني وتخلَّصتَ. ثم التفتَ إلى أولاده فقال: هذا لعمركم البيانُ الصريح»[٢٣].

إنّ جواب حارثة السابق ليدلّ على الذكاء والحِنكة، والقدرة على التعبير، والتمكُّن من الأساليب، إذ استطاع أنْ يُظهر تفوُّقه في الخطابة على زياد، وأنْ يُواجهه بهذا الحُكم، دون أنْ يُغضِبه، بل كان جوابه لزياد مدعاة إلى اعجابه ببلاغته وقُدرته على التصرُّف بالكلام.

ويُروى أنَّ بعض الناس عاتب زياد بن أبيه على صحبة حارثة بن بدر، لأنّه كان يُدمن الشراب. فأجابهم زياد بقوله: «كيف أطَّرح رجلاً يسامرني منذ دخلت العراق، ولم يَصكُكْ رِكابي ركاباه، ولا تقدّمني فنظرت إلى قفاه، ولا تأخر عني فلويت عنقي إليه، ولا أخذ عليَّ الشمس في شتاء، ولا الرَّوحَ في صيف، ولا سألته عن علم إلاّ ظننته لم يُحسن غيره»[٢٤].

فجواب زياد هذا، ودفاعه عن حارثة، يقطر حكمة وبلاغة وخبرة فيما ينبغي أنْ تكون عليه صفات النديم، إذ جمع في كلامه على ايجازه كلَّ الصفات الحسنة للصديق، ومدحَ بها حارثة، ودافع عن تمسّكه بصحبته، ودواعي تقريبه منه، ورغبته في منادمته، مستعملاً أسلوب اللين والتلطّف، والحجّة والاقناع، مع ما عُرف عنه من بطش وهيبة ونفاذ أمر.

ومن أمثلة الأجوبة المُفحمة، والثبات على المواقف ما ذُكِر عن الشاعر الأموي أيمن بن خريم أنَّ مروان بن الحكم – أو عبد الملك بن مروان - أرسل إليه يستنفره لقتال عبد الله بن الزبير. فكتب إليه: انَّ أبي وعمي شهدا بدراً وإنّهما عَهِدا إليَّ ألاّ أُقاتل أحداً شهد أنْ لا إله إلاّ الله وأنَّ محمداً رسول الله، فإنْ أنت حَبيتني ببراءة من النَّار قاتلتُ معك، وكتب:

فلستُ بقاتلٍ رجُلاً يُصلّي
علَى سُلطانِ آخرَ من قريشِ
لهُ سُلطانه وعليَّ إثمي
معاذ الله من سَفهٍ وطيش[٢٥]

ففي هذا الخبر يَظهر الشاعر ثابتًا على موقفه، متمسِّكًا بمعتقده، مُضحِّيًا بمكانته عند الحاكم، غير مكترث بما قد يُصيبُه من الغضب والانتقام. ويُعَدُّ كلامه من الأجوبة الصارمة المُفحمة، التي لا تقبل الأخذ والردَّ والمناقشة.

ومن الأخبار التي احتوتها مصنفات السمر، والتي تدلّ على حُسن التصرُّف في المواقف، وبراعة التخلُّص من

المآزق، أنَّ عبد الملك بن مروان أرسل قاضيَه الشّعبي إلى ملِك الروم. فأقام عنده أيامًا يسأله ويحاوِره، ثم زوَّده بكتاب لعبد الملك، قال الشعبي: فلمّا انصرفتُ دفعتُه إليه فجعلَ يقرؤُهُ ويتغيَّرُ لونُه. ثم قال لي: يا شعبي، علمتَ ما كتبَ به الطاغيةُ؟ قلتُ: يا أميرَ المؤمنين، كانت الكتبُ مختومةً، ولو لم تكنْ مختومةً ما قرأتُ وهي إليك. قال إنّه كتبَ: عجبتُ من قومٍ يكونُ فيهم مثلُ مَن أرسلتَ إليّ به فيُملِّكونَ غَيرَه. فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين حملَهُ على ذلك أنَّه لم يَرَك. قال: فسُرِّيَ عنه، ثم قال: إنّه حسَدني عليكَ فأرادَ أنْ أقتُلَكَ[٢٦].

ومن حُسن التصرّف في المواقف ما نقلته مصنفات السمر أنَّ عُمارة بن حمزة دخل على المنصور، فجلس في مجلسه فقال رجل للمنصور: مظلوم يا أمير المؤمنين. قال: من ظلمك؟ قال: عمارة ظلمني وأخذ ضيعتي. فقال المنصور: قم يا عمارة فاقعد مع خصمك. فقال عمارة: ما هو لي بخصم، قال: وكيف ذلك؟ قال عمارة: إنْ كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها، وإنْ كانت لي فقد وهبتها له، ولا أقوم من موضع شرفني به أمير المؤمنين[٢٧].

وممّا احتفظت به مصنفات السمر من حُسن الكلام، والتلطّف في طلب الحوائج، أنَّ أبا جعفر الكرخيّ قال: عرضتُ أيام عطلتي ورقةً على ابن الفرات، فلم يُوقِّعْ عليها، فانصرفتُ وأنا أقول:

وإذا طلبتَ إلى كريمٍ حاجةً
وأبَى فلا تَصعدْ عليه بحاجبِ
فلَرُبَّما منعَ الكريمُ، وما به
بخلٌ، ولكنْ شُؤمُ جَدِّ الطّالبِ

فقال: ارجعْ يا أبا جعفر بغير شؤمِ جدِّ الطالب. ولكن إذا سألتمونا حاجةً فعاوِدُونا فإنّ القلوب بيد الله، هاتِ ورقتك. ثم وقع لي بشُغل كان فيه غِنايَ في ذلك الوقت[٢٨].

ومن غرائب الحكايات والأخبار، التي تفيض بها مصنفاتُ السمر، وخاصة تلك التي تتصل بأخبار العُشّاق، ما رُوي أنَّ شابًا كان يعشق جارية، فأخذه أولياء الجارية ليلاً، واتهموه بالسرقة وقدّموه إلى خالد بن عبد الله القسري. فقال: أسرقت؟ قال: نعم أيها الأمير، وكره أنْ يصرّح بالقصة. فقال خالد لأولياء الجارية: أحضروا رجال الحيّ حتّى تُقطع يده بحضرتهم. فكتب أخوه إلى خالد القسري شعراً منه:

أخالدُ قد والله وُطِّئتَ عَشوةً
وما العاشقُ المسكينُ فينا بسارقِ
أقرَّ بما لم يأتِهِ العبدُ إنَّه
رأى القطعَ خيراً من فضيحةِ عاشقِ

وبعث بالكتاب إلى خالد، فلمّا قرأ الأبيات أحضر أولياء الجارية فقال: زوّجوه فتاتكم. قالوا: ظهر عليه ما ظهر فلا. فقال: لتزوّجونه طائعين أو كارهين. فزوّجوه ونفذ خالد المهر من عنده وجمع بينهما[٢٩].

وتفيض مصنفات السمر بالأخبار التي تدلّ على التلطّف في طلب الحوائج، والظرف في الحديث عنها، والبراعة في الأساليب التي تُعرض بها تلك الحوائج، ومن أمثلة ذلك ما يُروى أنَّ أحد الشعراء قال: قدمت على علي بن يحيى فكتبت إليه:

رأيتُ في النوم أنّي مالكٌ فرسًا
ولي وَصيفٌ وفي كَفّي دنانيرُ

فقال قومٌ لهم فَهمٌ ومعرفةٌ:

خيرًا رأيتَ وللمالِ التَّياسير
اقصُصْ منامَكَ في دار الأميرِ تَجِدْ
تفسيرَ ذاك، وللرُّؤيا تفاسيرُ

فوقَّع الأمير على الكتاب: أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالِمين! ثم أمر لي بكل ما رأيت في منامي[٣٠].

فمثل هذه الأخبار التي تتضمّن منتهى اللطف في طلب الحوائج والتعريض بها كانت تفيض بها كتب السمر، لما فيها من الظرف والكياسة، وما تحويه من بلاغة القول ومحاسن الأدب.

وممّا يتصل بهذا الباب ما نقلته مصنفات السمر من

ألوان الظرف والحيلة في التماس العفو، ومن ذلك أنَّ أبا دُلامة الشاعر وَشى به بعض الناس عند أبي جعفر المنصور بأنّه يشرب الخمر، فأمر المنصور بسَجنه مع الدَّجاج، وتمزيق ثيابه، فلمّا أُدخل نادى السجان يستفهم عن تهمته، فأخبره بأنّه سيق إلى السجن بسبب الخمر، وأنَّ الخليفة أمر أنْ يُحبَس مع الدجاج، وألاّ يُمَكَّن من قرطاس أو دواة. فطلب أبو دلامة من السجان أنْ يأتيه بابنه دلامة، ثم أمره أنْ يُجيد حلق رأسه، وأنْ يأتيه بفحمة، ثم كتب على رأسه:

أمِنْ صَهباءَ صافيةِ المزاجِ
كأنَّ شُعاعَها لهَبُ السِّراجِ
أُقادُ إلى السُّجونِ بغيرِ جُرمٍ
كأني بعضُ عُمّالِ الخِراجِ
ولو معَهُم حُبِستُ، لكانَ خَيراً
ولكنِّي حُبِستُ معَ الدَّجاجِ
على أنِّي، وإنْ لاقيتُ شَرًّا،
لِخَيرِكَ بعدَ ذاكَ الشَّرِّ راجِ

ثم أمر دلامةَ أنْ يدخل على أمير المؤمنين، ويُقرئه ما في رأسه، فأتى الباب وصاح: دعوة مظلوم، فأذِن المنصور بإدخاله، فكشف رأسه وقال: إنّ ظلامتي مكتوبة في رأسي، فأُدني منه حتى قرأها، فاشتد ضحكه، وعجب من حيلته وأمر بإخراجه وقال: ما أحوج هذه الرقعة أنْ تمزّق، ثم وصله بصلة، ونهاه أنْ يوجد وهو سكران[٣١].

لقد احتوى هذا الخبر من لطف الحيلة وحُسن التدبير والكلام ما جعله حريًّا بأنْ يتناقله الناس في أسمارهم، وأنْ يُحَلُّوا به مجالسهم ونواديهم، فقد مدح أبو دلامة الخمر نكاية بمَن وشى به، ثم عَرَّض بمساوئ مَن يستعملهم الخليفة على الخراج، وخيانتهم للأمانة، والغالب أنَّ مَن وَشى به منهم، ثم تنذّر بذكر حبسه مع الدجاج، وعاتب الخليفة على تمزيق ثيابه، ثم أفضى إلى مدحه والتماس عفوه، وأنّه يرجو أنْ يناله الخير منه.

فهذا الخبر يجمع بين طرافة الحيلة، وحُسن التدبير، والبراعة في العتاب، والذكاء في التماس العفو، والتعريض بمن وَشى به، دون أنْ يُغضِب الخليفة، بل أجاد مدحَه، وأدخل السرور إلى قلبه، فاقترب من نيل عطائه وجوائزه.

ممّا عرضتُه يتضح أنَّ مصنفات السمر احتوت مادة غزيرة تتصل بلُطف التدبير، والبراعة في الحصول على المُراد، وحُسن الكلام، وبلاغة الجواب، والثبات على المواقف. وتتصف أخبار هذا الباب بالإيجاز والطرافة والتشويق، ولهذا كان الناس يتناقلونها في مجالسهم ونواديهم، بغرض الافادة من مضمونها، واقتطاف ما فيها من ثمار البلاغة والأساليب، والأهم من ذلك أنّها تؤلِّف مادة جيدة للتسلية والتنذّر والترويح عن النفوس.

عجائب الحكايات والأخبار

تذخر كتب الأدب عامة، وأدب السمر خاصة، بالحكايات الغريبة والأخبار العجيبة، التي يتذاكر بها الناس في مجالسهم وأنديتهم، فيجدون فيها ما يروي ظمأ عقولهم إلى المعرفة، والاطلاع على أحوال الخَلق، وتقلّبات الدهر، وما ترتاح إليه نفوسهم، وتهشّ إليه قلوبهم من غرائب الأخبار، وعجائب الحكايات، ولطائف الفكاهة والمزاح.

وهذه الحكايات لم تكن للتسلية والتنذُّر فحسب، بل كانت لأغراض شتّى، وفوائد متنوعة، فالقارئ يُحصِّل منها العِبَر والمواعظ، ويتعلَّم منها الحكمة وحُسنَ التصرف في المواقف، كما يجني منها كل ما تشتاقه النفس وتميل إليه من السرور والمتعة.

وما أحوجنا في هذا العصر أنْ نبثَّ تلك الحكايات في مناهج التعليم، وأنْ نعطِّر بها محاضراتنا وندواتنا ومجالسنا، وأنْ نستفيد منها في نشر اللغة والآداب، وجعل المتعلمين يُقبلون على التراث العربي، بعقولهم وقلوبهم، مُعجَبين بروائعه وعظمته، مسرورين بما

يُدخل البهجة والمتعة والتسلية على نفوسهم، فيكتسبون الأساليب الفصيحة، والأفكار العميقة، ويطّلعون على تجارب الأجداد، ورحيق عقولهم، دون أنْ يتسلّل الملل إلى نفوسهم، والسآمة إلى أفئدتهم، والتعب إلى عقولهم.

ومن أمثلة الحكايات والأخبار العجيبة، التي احتوتها مصنَّفات السمر، أنَّ أعرابيًّا نزل ضيفًا على حاتم الطائي، فلم يُطعِمه وبات عنده جائعاً، فلمّا كان في السحر ركب وانصرف. فتبعه حاتم متنكراً، فقال له: أين كان مبيتُك البارحة؟ فقال: عند حاتم. قال: فكيف كان؟ قال: خيرَ مبيت، نحر لي ناقة، فأطعمني اللحم، وسقاني الخمر، وعلف راحلتي، وسِرتُ من عنده بخير حال. فقال له: أنا حاتم، والله لا تبرح حتى ترى ما وصفتَ، فردَّه وقال له: ما حملك على الكذب؟ فقال له الأعرابي: إنّ الناس كلهم يُثنون عليك بالجود، فلو قلت شرًّا لكذَّبوني، فرجعتُ مضطراً إلى قولهم، ابقاء على نفسي لا عليك(٣٢).

فهذه الحكاية تدلّ على ذكاء الأعرابي، وبُعد نظره في الأمور، وفهمه العميق لطبائع الناس ومواقفهم. ومنها يجني الإنسان عدة فوائد، أهمها أنَّ السعي إلى التفوق يقطع ألسنة الحاسدين، ويكفّ كيد الحاقدين، فإذا أراد الإنسان أنْ ينجو من ذلك فعليه أنْ يبذل جهده ليحظى بالسمعة الطيبة والمرتبة المهيبة فلا يجرؤ أحد على انتقاصه والنيل منه، وإنْ فعلوا نُسبوا إلى الكذب وانقلب عليهم كيدهم.

ومنها أنْ يكون حذرًا في نقد الناس الذين شاع ذكرهم وانتشر صيتهم، وإنْ كانوا لا يستحقّون تلك السمعة الطيبة والصورة الحسنة التي يتناقلها الناس عنهم، لكيلا يُتَّهم بالكذب مع أنّه صادق في نقده.

وفي عصرنا نجد نماذج كثيرة ممّن يدَّعون العلم والفضل استطاعوا بالدعاية والكذب، والتزلُّف إلى الناس، أنْ يُصوِّروا أنفسهم على أنّهم جبال راسخة أو بحار واسعة، فإذا عرفناهم عن قرب وجدناهم غبارًا تذروه الرياح في العيون، أو سرابًا خدّاعًا ما يلبث أنْ يتلاشى ويغدر، فتطول معاناتنا منهم، ومع ذلك لا نجرؤ أنْ نصفهم بما يستحقون، لأنّ صخب الدعاية وانتشارها يُغطي على الحقائق، ويمنعها من الظهور، وهذا لا يعني أنْ نمجّدهم خشية من شرهم، بل أنْ نتأنّى في كشف أباطيلهم وزخارفهم الوهمية، وأنْ نكشفها بالتدريج، فلا نذكر نقيصة من نواقصهم إلاّ بعد أنْ يتحقّق مَن نحدّثه عنهم من صحة ما ذكرناه سابقًا عنهم، وأنْ نبدأ بتبصير مَن يثق بنا أولاً، ليكون عونًا لنا على كشف حقائقهم وازاحة أقنعتهم.

وفيما يتصل بهذا المعنى ويُقوِّيه، ممّا روته مصنَّفاتُ السمر، أنَّ زياد بن أبيه لمّا ماتَ ووليَ مكانَه ابنُه عُبيد الله جفا حارثة بن بدر صديق والده، فقال له حارثةُ: أيها الأميرُ، ما هذا الجفاءُ مع معرفتك بالحال عند أبي المغيرة (يقصد زيادًا)؟ فقال له عبيد الله: إنَّ أبا المغيرة قد كان برعَ برُوعًا لا يَلحقهُ معه عيبٌ، وأنا حَدَث، وإنّما أُنسب إلى من يَغلبُ عليَّ، وأنت رجل تُديم الشراب، فمتى قرَّبتُك فظهرت رائحة الشراب منك لم آمن أنْ يُظنَّ بي، فدعِ الشراب، وكُن أول داخل عليَّ، وآخر خارج عني. فقال له حارثةُ: أنا لا أدعهُ لمن يملك ضَرِّي ونفعي، أفأدعُه للحال عندك؟(٣٣) ثم ما لبث عبيد الله حين عرفه أنْ استحلاه، ومال إلى مجالسته، واختصّه بمنادمته.

وهذه الحكاية تتضمّن حكمة بليغة، مُؤدّاها أنَّ على الإنسان الذي لم تُعرف حاله بعدُ عند الناس، ولم تتضح صورته في أذهانهم، ولم يَشِعْ فضلُه فيهم، أنْ يحذر من مخالطة مَن يُرمَى بسوء الخلق والدين، لأنّ ذلك يقدح في مكانته، ويُزري بأخلاقه، ويجعله في عيون الناس بمنزلة مَن يُخالطه ويُصاحبه. أمّا إذا كان مرموق المكانة، ذائع الصيت، مشهور الفضل، منزَّهًا عن العيوب والنواقص، فلا يضرّه مَن يُصاحِب، كما ظهر في الحكاية السابقة عن الأعرابي وحاتم.

والحكايات التي احتوتها كتب السمر ذات موضوعات مختلفة، وأغراض متنوعة، فهي تدور حول أصناف الناس وطبقاتهم، والأنبياء ورسالاتهم، والجِنّ وأعمالهم، والحيوانات والطيور والطبيعة وغير ذلك، أمّا أغراضها فتصبُّ في الوعظ والتعليم والمتعة والتسلية. والغالب عليها أنْ تحوي أكثر من غرض، بحيث تروي العقول برحيق العلم والتجارب، وتُسلّي النفوس بما فيها من العجائب.

ومن الحكايات التي تدلّ على الدهاء والحكمة والطرافة أنَّ المنصور أراد أنْ يُولّي ابن أبي ليلى القضاء، فطلب من حاجبه الربيع أنْ يُكلّمه في ذلك فامتنع. فقال المنصور للربيع: انظر كيف أجعله يقبل. ثم أمر بوليمة فيها ألوان من طعام الملوك، ودعا إليها ابنَ أبي ليلى. فلمّا أكل وخرج. قال المنصور للربيع: لقد أكل الشيخ عندنا أكلة، ما أراه يفلح بعدها أبدًا، فلمّا كان عشيّ ذلك اليوم راح ابن ليلى إلى المنصور فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي فكّرت فيما عرضتَه عليَّ من الحكم بين المسلمين، فرأيت أنّه لا يسعني خلافُك. فقال المنصور: خار الله لنا ولك، وولاه القضاء. ثم قال للربيع: كيف رأيتَني؟[٣٤]

فهذه الحكاية فيها من الذكاء والدهاء ما يحظى بإعجاب النفس وارتياحها، وفيها أيضًا كشف لبعض الطبائع الإنسانية التي تأسرها الرفاهية، فتتخلّى عن مواقفها، وتميل إلى حيث ليونة العيش، ونعيم الحياة. وفيها أيضًا تحذير من الميل إلى المُتَع الزائلة، والتخلّي عن الواجبات والمبادئ، وحكمة ملخصها أنَّ مَن ذاق العسل واعتاد طيِّب الطعام فلن يصبر على الخَلّ والقَديد. وهناك أغراض أخرى لمثل هذه الحكاية يستخلصها كل متبصِّر بحسب ثقافته وظروف حياته.

ومن الحكايات العجيبة التي تتصل بالتسلية والمتعة والحسد والانتقام أنَّ ابن أبي ليلى القاضي قصَّ على الخليفة الهادي حكاية غريبة، احتفظت بها بعض مصنفات أدب السمر، قال: كنت يوماً في مجلس القضاء فوردت عليّ عجوز ومعها جارية شابّة، قال: فذهبت العجوز تتكلم. فقالت الشابة: أصلح الله القاضي، مُرْها فلتسكت حتى أتكلم بحجتي وحجتها، فإنْ لحنتُ بشيء فلتردَّ علي.

ثم قالت: أصلح الله القاضي، هذه عمتي، مات أبي وتركني يتيمة في حجرها، فأحسنت تربيتي، حتى إذا بلغت مبلغ النساء قالت: يا بنية هل لك في التزويج؟ قلت: ما أكره ذلك يا عمة. فخطبني وجوه أهل الكوفة، وزوَّجتني برجل صيرفيٍّ، فكنا كأننا ريحانتان ما يَظُنُّ أنَّ الله تعالى خلق غيري، ولا أظن أنَّ الله عز وجل خلق غيره، يغدو إلى سوقه ويروح عليَّ بما رزقه الله.

قالت: فلمّا رأت العمةُ موقعه مني وموقعي منه حسدتنا على ذلك، وكانت لها ابنة فشوَّفَتها وهيأتها لدخول زوجي عليّ، فوقعت عينه عليها، فقال لها: يا عمة هل لك أنْ تزوجيني ابنتَكِ؟ قالت: نعم بشرط أن تُصيِّر أمرَ ابنةِ أخي إليّ، قال: قد صيَّرتُ أمرَها إليك، قالت: فإنّي قد طلقتها ثلاثاً بتة، وزوَّجَت ابنتها من زوجي.

قالت: وكان لعمتي زوج غائب فلمّا قدم وتوسّط منزله، قال: مالي لا أرى ربيبتنا؟ قالت تزوجت وطلّقها زوجها فانتقلت عنا، فقال لها: علينا من الحقّ أنْ نُعزِّيَها بمصيبتها.

قالت: فلما بلغني مجيئه تهيأتُ له وتشوَّفتُ. فلما دخل عليّ سلَّم وعزّاني بمصيبتي، ثم قال لي: إنَّ فيك بقيةً من الشباب فهل لك أنْ أتزوّجك؟ قلت: ما أكره ذاك، ولكن على شرط أن تُصيِّر أمر عمتي بيدي، قال: فإنّي قد صيَّرتُ أمرَها بيدك، قلت: فإنّي قد طلقتها ثلاثاً بتة.

قالت: وقدم عليّ من الغد ومعه ستة آلاف درهم، فأقام عندي ما أقام ثم إنّه اعتل فتُوفي، فلما انقضت عدتي جاء زوجي الأول يعزيني بمصيبتي، فلمّا بلغني مجيئه تهيأتُ له وتشوَّفتُ، فلما دخل عليّ قال: يا فلانة إنّك لتعلمين أنّك كنت أحبّ الناس إليّ وأعزّهم علّي، وقد حلّ لنا الرجعة فهل لك في ذلك؟ قلت: ما أكره ذلك

ولكن تصير أمر ابنة عمتي بيدي، قال: فإنّي قد فعلت. قلت: فإنّي قد طلقتها ثلاثاً بتة. ورجعتُ إلى زوجي، فما استعداؤها علي؟

قال ابن أبي ليلى فقلت: واحدة بواحدة والبادي أظلم، قومي إلى منزلك. وقال: فحدثت الهادي بذلك، فقال: ويحك يا محمد! ما سمعتُ حديثاً أحسن من هذا، أنا أحبّ أنْ أحدثّ به الخيزران، يعني أمَّه[٣٥].

إنّ هذه القصة تحوي مادة مسلّية، تُغري الناس بمذاكرتها في المجالس والأندية، للترويح عن النفوس، وتبصير العقول بعواقب الحسد ومساوئه، وعدم الاستهانة بقدرة الإنسان على الانتقام ولو بعد حين، وأهمّ ما فيها هو غرابة أحداثها، وندرة وجودها في الواقع، ولا يُستبعد أنْ يكون خيال القُصّاص قد تدخَّل في صوغ أحداثها.

ومن أمثلة الحكايات الغريبة أيضًا أنَّ رجلاً في بغداد ظهر في يده مال جليل بعد فقر طويل، فسُئل عن ذلك فقال: ورثت مالاً جليلاً، فأسرعت في اتلافه، حتى أفضيت إلى بيع أثاث داري، ولم يبق لي حيلة. فرأيت ليلة من الليالي كأن قائلاً يقول لي: غَناؤك بمصر فاخرج إليه، فتجهَّزتُ للسفر وخرجتُ.

فلما وصلت إلى مصر سَدَّ اللهُ عليَّ الوجوه، ونفدت نفقتي، وبقيتُ متحيّراً، وتفكّرت أنْ أسأل الناس، فخرجتُ بعد العِشاء أمشي في الطريق، ونفسي تأبى المسألة، إلى أنْ مضى من الليل كثير، فلقيني الطائف، فقبض علي، ووجدني غريباً، فأنكر حالي وسألني فقلت: رجل ضعيف، فلم يصدّقني، وضربني فصحت وقلت: أنا أصدقُك. فقال: هات. فقصصت عليه القصة من أولها إلى آخرها وحديث المنام. فقال لي: أنت أحمق، والله لقد رأيت منذ كذا وكذا سنة في النوم قائلاً يقول لي: ببغداد في الشارع الفلاني، في المحلة الفلانية مال، فذكر شارعي ومحلتي، ثم قال: دار يقال لها دار فلان، فذكر داري واسمي، وفيها بستان فيه سدرة، تحتها مدفون ثلاثون ألف دينار، فامض فخذها، فما فكرّت في هذا الحديث ولا التفت إليه. قال: فقوي قلبي بذلك الحديث، وأطلقني الطائف، فبتّ في المسجد وخرجت في الصباح من مصر إلى بغداد، وقلعت السدرة، فوجدت تحتها ثلاثين ألف دينار، فأنا أعيش فيها[٣٦].

فهذه الحكاية تقوم أحداثها على عجائب الصدفة ونوادرها، وهي تدعو إلى نبذ اليأس، والتعلّق بحبال الأمل واليقين بالرزق. وهي أقرب إلى الخيال من الواقع، لكنها ممتعة على كل حال، وفيها ما يُسلّي النفوس، ويشدُّ الانتباه إلى متابعة أحداثها، والتشوّق إلى معرفة نهايتها.

ممّا سبق يتضح أنَّ باب الحكايات في مصنفّات السمر واسع، ومادته غزيرة ومُستمَدّة من حياة الناس ومعاملاتهم ودوافعهم وسلوكهم. وتكون أحداثها غريبة في الغالب وغير مألوفة، وتتصف بالإيجاز أو التوسط، ونادرًا ما تكون طويلة. وهذه الحكايات تؤلِّف مادة مُغرية ومحبَّبة إلى النفوس والعقول، ولذلك يستحليها الناس فيتذاكرون بها في مجالسهم وأنديتهم.

وتجدر الاشارة إلى أنَّ مفهوم الحكايات في أدب السمر يختلط عادة بمفهوم الأخبار والمواقف، إذ ليس من الضرورة أنْ تتضمّن الحكاية أحداثًا متسلسلة، أو صراعًا يُنمي الحدث، كما هو الشأن في القصة وفق المفهوم المعاصر، بل يُدرَج ضمن الحكايات كثير من المواقف والأخبار التي تجري في حياة الناس، دون أنْ تتحقَّق فيها عناصر الحكاية، كما أنَّ الكثير من الحكايات استمدّها القصاص من الخيال بقصد المتعة والتسلية وبث الحياة والدعابة في المجالس.

المُلَح والنوادر والطُّرَف

وهي أهمّ ما يُميِّز أدب السمر، إذ عُني مصنفوه بالنوادر المُضحكة، والحِيَل اللطيفة، والمُلَح المُسلِّية، فجمعوا ما وصل إليهم منها، ودوّنوها لتكون مادة مسلّية للمجالس والسمر، ووسيلة لجذب القلوب والأفئدة والفوز برضا أصحاب النفوذ والخلفاء. وقد نُقِل عن الأصمعي قوله:

«وصلتُ بالعِلم، ونِلتُ بالمُلَح»[٣٧]، أي إنّه حظِي بمكانته عند الخلفاء وذوي النفوذ بما حصّله من عِلم، ونال الجوائز والأُعطيات بما رواه واخترعه من الطرف المُسَلِّية والنوادر المُضحِكة والأخبار الغريبة والحكايات العجيبة.

ولعلَّ الطرف والمزاح من أشهر ما تتحلّى به المجالس عبر العصور، وكان كثير من العلماء يتعمدّون المزاح في مجالسهم للترويح عن النفوس، وشحذ أذهان الحاضرين، وتجديد همتهم في متابعة قضايا العلم ومسائله. كما أنَّ النوادر المضحكة والأخبار المسلِّية كانت تزدهر في مجالس الخلفاء وأصحاب المناصب والنفوذ، فكانوا يتخذون مَن اشتهر بذلك نديمًا ومُسامِرًا، يُشاركهم مجالسهم وينال جوائزهم.

وتروي كتب السمر ومصنَّفات الحديث والسيرة أنَّ بعض الصحابة كان يُكثر المزاح مع النبي صلى الله عليه (واله) وسلم. وفي ذلك يُروى أنَّ نُعيمان أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم جرّةَ عسلٍ اشتراها من أعرابي بدينارٍ، وأتى به إلى بابِ النبي صلى الله عليه واله وسلم، وقال: خُذِ الثمنَ من هاهُنا، وتخفَّى غير بعيد. فلمّا قُسِمَت الجرةُ نادى الأعرابيُّ: ألا أعطني ثمنَ عسلي. فقال صلى الله عليه واله وسلم: إحدى هناتِ نُعَيمان. وسألَه لِمَ فعلتَ هذا؟ فقال: أردتُ بِرَّكَ ولم يكنْ معي شيءٌ، فتبسَّمَ صلى الله عليه واله وسلم، وأعطَى حقَّها[٣٨].

ونُعيمان هذا كانت له كثير من الأخبار المُضحكة مع النبي وأصحابه، وكان النبي صلى الله عليه واله وسلم إذا نظر إلى نُعيمان لم يتمالك نفسه أنْ يضحك بحسب بعض الروايات التي لا يُعلم مدى وثاقتها[٣٩]. على أنّ الثابت أنّ الخلفاء ولاسيما في العصر العباسي وكذا الأغنياء وأصحاب النفوذ والجاه كانوا يتخذون بعض الشعراء وأصحاب النوادر والمُلح لاشاعة روح الدعابة والمزاح في مجالسهم.

ومادة المُلح والنوادر مستمدّة من حياة الحُكام والشعراء والأعراب والعلماء والمعلمين والقُصّاص والطُّفيليِّين والمُرائين وعامة الناس، وبعضها يجري على ألسنة الحيوان، ومنها ما هو مأخوذ من الخيال. وفيما يلي عرض لبعض تلك المُلح المُسلِّية والنوادر المُضحِكة، التي احتفظت بها مصنَّفات السمر.

فمن النوادر المروية عن الشعراء أنَّ رجلاً كان يقول الشعر، فيستبرده قومه، فكان يحمل ذلك منهم على الحسد، فقال لهم: بيني وبينكم بشار، فأتوا إليه، فأنشده، فلما فرغ قال له بشار: أظنك من أهل بيت النبوة، ففرح وقال: وكيف ذلك؟ قال: إن الله عز وجل يقول: (وما علمنه الشعر وما ينبغي له) فضحك القوم وانصرفوا[٤٠].

ومن نوادر الأعراب التي تفيض بها كتب السمر أنَّ أعرابيًّا دخل على سليمان بن عبد الملك، وبين يديه جام فيه فالوذج، فقال: ادنُ يا أعرابي فكُلْ، فإنّ هذا ممّا يزيد في الدماغ. فقال الأعرابي: لو كان الأمر كما تقول لكان رأس الأمير مثلَ رأس البغل[٤١].

وحجّ أعرابي، فسبق الناس، فطاف بالبيت وصلى ركعتين، ثم رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم اغفر لي، قبل أنْ يدهمك الناس[٤٢].

وقيل لأعرابي: أتقرأ شيئاً من القرآن؟ قال: نعم، أم القرآن، ومدحة الرب، وهجاء أبي لهب[٤٣].

وضل لأعرابي جمل، فحلف بالله أنّه إنْ وجده باعه بدرهم، فوجده فلزمه بيعه، وأقبل الناس عليه يشترونه، فشدّ في عنق الجمل سنوراً، وقال: السنور بمائة درهم، والجمل بدرهم، ولا أبيعهما إلاّ معًا[٤٤].

وقيل لأعرابي، وقد رُئي مغتمّاً، ما شأنك؟ قال: سوء الحال، وكثرة العيال، قيل: لا تغتمّ؛ فإنّهم عيال الله، قال: قد صدقتم، ولكن كنت أحبّ أنْ يكون الوكيل عليهم غيري[٤٥].

ومن النوادر التي تتصل بمَن ادَّعى النبوة أنَّ رجلاً ادعى النبوة في أيام المهدي، فأُخِذ وأُدخل عليه، فقال

له: أنت نبي؟ قال: نعم، قال: وإلى من بُعثتَ؟ قال: أو تركتموني أذهب إلى أحد؟ ساعة بُعثتُ وضعتموني في السجن، فضحك المهدي وخلى سبيله[٤٦].

وجِيء بمُتَنبِّئة إلى المأمون فقال لها: إنّ النبي عليه السلام قال: لا نبيَّ بَعدي. فقالت: صدق، فهل قال: لا نبيّةَ بَعدي؟ فقال المأمون لمن حضره: أمّا أنا فقد انقطعت، فمن كانت عنده حجّة فليأت بها، وضحك حتى غطّى على وجهه[٤٧].

ومن النوادر التي تتصّل بذكاء العلماء ونَباهتهم أو غفلاتهم أنَّ بعض أبناء الملوك دخل على المبرد (ت ٢٨٦هـ)، وعنده سلة حلوى قد أعدّها لبعض إخوانه، فوجد ابنُه الفرصةَ في اشتغال أبيه، فأقبل يأكل منها. فنظر إليه المبرد وأنشده:

الناسُ في غَفَلاتِهم ورحَى المَنِيّةِ تَطحَنُ[٤٨]

ويُروى أنَّ أبا علي الشلوبيني (ت ٦٤٥هـ)، وكان عالمًا في النحو، قال له غلامه: سُرِق الحمار، فقال: الحمد لله الذي لم أكن على ظهره. ودخل يومًا السوق، ليشتري نعلاً لابنته، فقال له: كم سنها؟ فقال: لا أدري، ولكنها في حجم الشجرة[٤٩].

وتحتفظ كتب السمر بنوادر كثيرة نُقِلت عن بعض الفقهاء، وخاصة الشعبيّ قاضي عبد الملك بن مروان، الذي كان مشهورًا بالدعابة والمزاح، ومن ذلك أنه كان يوماً في مجلسه، والناس يتناظرون عنده في الفقه، وفي المجلس شيخ يُطيل السكوت، فقيل له يوماً: لو سألت عن مسألة تنتفع بها، فقال: إنّي لأجد في قفاي حكّة، أفترى لي أنْ أحتجم؟ فقال الشعبي: الحمد لله الذي صيَّرنا من الفقه إلى الحجامة[٥٠].

ودخل رجل على الشعبي، وهو مع امرأته، فقال: أيكما الشعبي؟ فقال: هذه، فقال: ما تقول - أصلحك الله - في رجل شتمني في أول يوم من رمضان؟ فقال له الشعبي: إنْ كان قال لك: أحمق فأرجو له الأجر[٥١].

وسأل رجل الشعبي عن المسح على اللحية، فقال: خلِّلها.

فقال: إنّي أخاف ألاّ ينالها الماء، قال: إنْ خفت ذلك فانقعها من أول الليل[٥٢].

ومن نوادر المعلِّمين أنَّ الجاحظ قال: مررت بمعلم، وقد كتب على لوح صبي: وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه ... يا بُنيَّ لا تقصصْ رُؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً ... وأكيد كيداً، فمهّل الكافرين أمهلهم رويدًا. فقلت: ويحك أتُدخل سورة في سورة؟ قال: نعم، عافاك الله، إنّ والده يدخل أجرتي شهراً في شهر، وأنا أيضاً أدخل سورة في سورة، فلا أنا آخذ شيئاً، ولا الصبي يتعلم شيئا[٥٣].

وقال الجاحظ: دخلت على مُؤدِّب، ورأسه في حجر صبي، وفي أذنه خرقة معلقة، وكان المؤدب أصلع، والصبي يكتب في رأسه، ويمحوه بالخرقة، ثم يكتب مرة أخرى، فقلت له: ما هذا الذي يصنع الصبي في رأسك؟ فقال لي: يا فلان، هذا الصبي يتيم، وليس له لوح، فأنا أعطيه رأسي يكتب فيه ابتغاء ثواب الله[٥٤].

واحتفظت كتب السمر بكثير من النوادر المتصلة بحياة الطفيليين ومزاحهم، ومعظمها رُوِي عن أشعب الذي شاع صيته في التطفّل والظُّرف، ومن ذلك ما يُحكى أنَّ أشعب صلى صلاة خفيفة، فقال له بعض أهل المسجد: ما لك خفّفت صلاتك جدًّا؟ فقال: لأنه لم يُخالطها رياء[٥٥].

وأهدى رجل إلى صديق له فالوذجة وأشعب حاضر، فقال: كُلْ يا أشعب، فأكل منها، فقال له: كيف تراها؟ قال: الطلاق يلزمه إنْ لم تكن عملت قبل أنْ يوحي ربك إلى النحل، أي ليس فيها حلاوة[٥٦].

وغاضبت مصعب بن الزبير زوجُه عائشة بنت طلحة، فاشتدّ ذلك عليه وشكا أمره إلى خاصته. فقال له أشعب: فما لي إذا هي كلمتك؟ قال: عشرة آلاف درهم؛ فأتى إليها فقال: يا بنة عم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم، تفضلي بكلام الأمير؛ فقد استشفع بي عندك، وأجزل لي العطية إنْ أنت كلّمته. قالت: لا سبيل إلى ذلك يا أشعب وانتهرته. فقال: جُعلتُ فداك، كَلِّميه حتى

أقبض عشرة آلاف درهم، ثم ارجعي إلى ما عوَّدكِ الله من سوء الخلق، فضحكت وقامت فصالحته[٥٧].

وقيل لأشعب: أنت شيخ كبير، فهل رويتَ شيئاً من الحديث؟ قال: نعم، حدثني عكرمة عن ابن عباس، عن النبيّ صلى الله عليه واله وسلم، أنّه قال: خصلتان من حافظ عليهما دخل الجنة. قلت: وما هما؟ قال: نسيت أنا واحدة، ونسي عكرمة الأخرى[٥٨].

ومن نوادر الحمقى والجبناء ما نُقِل عن الأصمعي أنّه قال: كان أبو حية النمري جبانًا مع حمق وبله فيه، وكان له سيف ليس بينه وبين الخشبة فرق، سمّاه لعاب المنية، فدخل يومًا تحت سريره كلب، فظن أنّه لصّ، وسمعه جار له وهو يقول: أيها المغتر المجترئ علينا، بئس ما اخترت لنفسك، خير قليل، وسيف صقيل، وهو لعاب المنية الذي سمعت به، مشهورة ضربته، لا تُخاف نبوته، اخرج بالعفو عنك، قبل أنْ أدخل بالعقوبة عليك، إنّي إنْ أدع قيساً ملأت الأرض عليك خيلاً ورجالاً، فخرج الكلب، فقال أبو حية: الحمد لله الذي مسخك كلباً، وكفاني حربًا[٥٩].

ومن نوادر المجانين أنَّ أحدهم مرَّ ببهلول المجنون، وهو يأكل خبيصاً، فقال له: أطعمني منه، فقال: والله ما هو لي، قلت: فلمن هو؟ قال: لعاتكة بنت الخليفة، بعثته إليَّ لآكله لها[٦٠].

وكان بالبصرة مجنون يأكل التمر بنواه، فقيل له: بنواه تأكل التمر؟ فقال: هكذا وَزَنوه علي[٦١].

ومن نوادر العميان أنَّ أعمى تزوج بامرأة، فقالت له: لو رأيتَ بياضي وحُسني لعجبتَ. فقال: لو كنتِ كما تقولين لما تركَكِ المبصرون لي[٦٢].

وبلغ أبا العيناء أنَّ المتوكل قال: لولا أنَّ أبا العيناء ضريرٌ لنادمناه. فقال: إنّ أعفاني أمير المؤمنين من رؤية الأهلة وقراءة نقش الفصوص فأنا أصلح للمنادمة[٦٣].

ومن النوادر التي سِيقَت على ألسنة الحيوان أنَّ ديكًا صرخ في أعلى شجرة، فسمعه ثعلب، فأتى إليه، فقال: أبا المنذر، هل أذَّنت؟ قال: نعم، قال: انزل نصلِّ جماعة، قال الديك: أيقِظِ الإمام، فتخيل الثعلبُ أنه ديك آخر، فرأى كلباً له ذنب أكبر من ساق الشجرة، فهرب، فقال له الديك: يفوت الوقت، قال: انتقض الوضوء، أجدّده، وأرجع إن شاء الله [٦٤].

ممّا سبق يظهر أنَّ الطرف المُضحكة تؤلِّف مادة مهمة، وتشغل بابًا واسعًا في مصنَّفات السمر، وهي تستوفي كل النماذج والأحوال والعلاقات الإنسانية، ومادتها مستمدّة من الواقع أو الخيال، وبعضها حدث صدفة أمام مَن رواه، على حين كان معظمها من ابتداع مَن تفرّغوا للظرف والاضحاك والنوادر، وذاع صيتهم بذلك كأبي دلامة وأبي نواس وأشعب وغيرهم.

الخاتمة والنتائج

تحدَّثتُ في هذا البحث عن أدب السمر وخصائصه، وذكرتُ أهمّ المصنفات الأدبية التي تُعنى به، إضافة إلى تلك التي اختصَّت به، وقد انتهى البحث إلى النتائج التالية:

١- اهتمَ العرب اهتمامًا كبيرًا بمجالسهم، وحرصوا على أنْ تكون عامرة بالحكمة والعلم والتسلية والترويح عن النفوس، ولذلك كثرت المُصنَّفات التي تخصَّصت بأدب السمر، والتي تُعنى بتقديم كل ما تميل إليه قلوب الناس، وترتاح إليه نفوسهم، من الحِكم والمواعظ والحكايات والأخبار والطُّرَف والنوادر، التي تصلح للمذاكرة في المجالس والأندية والبلاطات.

٢- يتميَّز أدب السمر بكثرة أبوابه، وتداخل موضوعاته، وقد أدَّى ذلك بالمصنِّفين إلى تدوين المادة بحسب ما يخطر ببالهم، أو يتصل بمناسبة واقعية، دون الالتزام بمنهج محدَّد يقضي بتوزيع المادة على أبواب وفصول واضحة.

٣- حاول بعض المصنِّفين ترتيب مادة كتبهم وفق مناهج محدَّدة، كما فعل ابن سعيد المغربي وابن عاصم الغرناطي وغيرهما، إلاّ انّ غزارة المادة وتنوُّعها

وكثرة تشعبها وتداخل موضوعاتها، قد حالت دون ذلك، فجاءت الأبواب والفصول شكلية لا تدلّ في الغالب على المضمون.

٥- يسعى أدب السمر إلى تحقيق غرضين هما: رفد المجالس بمادة تصلح للسمر والمذاكرة والترويح عن النفس، وتوجيه القارئ إلى اتخاذ الكتاب جليسًا وسميرًا يُغنيه عن الناس ويُعوِّضه عنهم، وخاصة أنّ معظم المصنِّفين يشكون من تقلُّبات الزمان، وفساد الودّ، وتغيُّر الإخوان.

٦- يُلاحظ على مصنَّفات السمر عامة أنّ اللاحق ينقل عن السابق، مع إضافة شيء من الحكايات والطرف والأخبار المتناقَلة في عصره، ومع أنّ بعضهم كالقاضي التنوخي صرَّح بأنّه لم يعتمد على كتاب سابق، وإنّما دوَّن في كتابه ما سمعه في عصره، إلاّ أن مادة كتابه جاءت متوافقة مع كتب السابقين في كثير ممّا تضمَّنته، وهذا يعني أنّ الحكايات والطرف والأخبار التي حوتها مصنَّفات السمر كان الناس يتداولونها ويتذاكرون بها في كل العصور.

٧- تختلف المادة التي تحويها مصنَّفات السمر، من حيث النسيج اللغوي وأسلوب العرض، بين مُصنَّف وآخر. وهذا يدلُّ على أنّ المصنِّفين اهتموا بمضمون المادة، دون نصها، ونظروا إلى جُلِّها على أنّها وسيلة للتسلية والترويح عن النفس، فأجازوا لأنفسهم التصرّف في ألفاظها وعباراتها واعادة صوغها وتعديلها وفق ما يُلائم أسلوبهم ويتناسب مع ذوق عصرهم. وما تضمّنه هذا البحث منها، فيه بعض التصرّف الذي يعكس الروايات المختلفة، ويتناسب مع طبيعة البحث.

٨- يتصف أدب السمر عامة بالإيجاز والتشويق والطرافة والملاحة، فهو عصارة الأدب، وجوهر الكلام، وفيه تتجلّى زُبدة الحِكم، ورحيق الطُّرَف، وخلاصة التجارب، وابداعات العقول، ونبضات الأفئدة. ولذلك فالاطلاع عليه وقراءته من الأمور المستحبّة لكل المختصين باللغة العربية وآدابها وعلومها، ولعامة المثقفين أيضًا.

٩- تؤلِّف المادة التي تحويها مصنَّفات السمر كنزًا علميًّا وأدبيًّا، يُمكن توظيفه في مناهج التعليم لجعل الطالب يُقبل على التعلُّم بشغف ومحبّة، كما يُعدُّ ضروريًّا في احياء المجالس العامة بالحوار والمذاكرة والتسلية، وتحلية المحاضرات والدروس بالطُّرَف والنوادر والحكايات.

الهوامش

١- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، للمعافى بن زكريا (ت ٣٩٠هـ)، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٥، ص٦.

٢- بهجة المجالس لابن عبد البر القرطبي، تحقيق: الدكتور محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد١ من القسم١ ص٣٦.

٣- يُنظر: ربيع الأبرار للزمخشري، تحقيق: عبد الأمير علي مهنا، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٩٢، (مقدمة التحقيق) ١: ١٦.

٤- ربيع الأبرار ١: ٢٠.

٥- المحاسن والمساوئ لإبراهيم البيهقي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ١٩٩١، ١: ١٦.

٦- يُنظر: المقتطف من أزاهر الطرف، لابن سعيد المغربي، شركة أمل للطباعة، القاهرة ١٤٢٥هـ، ص٤٥-٤٦.

٧- المقتطف من أزاهر الطرف ص٢١٧.

٨- ربيع الأبرار ١: ٥٤.

٩- التحف والظرف لابن عبد المغيث الدارمي التميمي (ت: ٣٧٨هـ)، ص٩، بترقيم الاصدار الثاني للموسوعة الشعرية التي أصدرتها مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم بالإمارات. ويُنظر في تخريج الحديث: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للهروي (ت ١٠١٤هـ)، ط١، دار الفكر، بيروت ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ٣: ١١٧١. والحديث في كتب الصحاح برواية أخرى.

١٠- المقتطف من أزاهر الطرف ص٥٣.

١١- ربيع الأبرار ٣: ٣٦٩، والتذكرة الحمدونية، لابن حمدون البغدادي (ت ٥٦٢هـ)، ط١، دار صادر، بيروت ١٤١٧هـ، ١: ٣٧٨، والمقتطف من أزاهر الطرف ص٥١.

١٢- البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (ت ٤١٤هـ)، تحقيق: الدكتورة وداد القاضي، ط١، دار صادر، بيروت ١٩٨٨، ٧: ١٤٢، وبهجة المجالس، المجلد ٢ من القسم ١ ص٧٠٤.

١٣- المقتطف من أزاهر الطرف ص٥٣.

١٤- البصائر والذخائر ٤: ٢٠٠، وربيع الأبرار ٢: ٤٢٢، والمقتطف من أزاهر الطرف ص٢١٣.

١٥- الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت ١٩٧٨، ٣: ٣٤٣، والمقتطف من أزاهر الطرف ص٥٢.

١٦- البصائر والذخائر ٧: ٤٨، وربيع الأبرار ١: ٢٩، والتذكرة الحمدونية ١: ٥٩.

١٧- ربيع الأبرار ١: ٣٢.

١٨- المقتطف من أزاهر الطرف ص٥٥.

١٩- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، ط١، دار الأرقم، بيروت ١٤٢٠هـ، ١: ٦٨.

٢٠- المقتطف من أزاهر الطرف ص٦٠.

٢١- ربيع الأبرار ٣: ٤٠٣.

٢٢- المقتطف من أزاهر الطرف ص٥٦.
٢٣- الأغاني ص٢٩٦٨ بترقيم الاصدار الثاني للموسوعة الشعرية التي أصدرتها مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم بالإمارات، وزهر الآداب ٤: ٩٨٦.
٢٤- ربيع الأبرار ٢: ٤١٨، والمقتطف من أزاهر الطرف ص١٩٣.
٢٥- الجليس الصالح ص٥٨٩، وبهجة المجالس، المجلد ٢ من القسم ١ ص٤٨٢، وربيع الأبرار ٤: ١٣٥.
٢٦- التذكرة الحمدونية ٨: ٢٣٨، والمقتطف من أزاهر الطرف ص٢٠٥.
٢٧- غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة لأبي إسحاق برهان الدين المعروف بالوطواط (ت ٧١٨هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٨، ص٩٠، ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (ت ٧٣٣هـ)، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ١٤٢٣هـ، ٣: ٣٧٣.
٢٨- المقتطف من أزاهر الطرف ص٢٠٢.
٢٩- الزهرة لابن داوود الأصبهاني (ت ٢٩٧هـ)، تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن ٢: ٨٣٧، ونشوار المحاضرة للقاضي التنوخي (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق: عبود الشالجي، مكتبة المثنى، بيروت ١٩٧١، ٤: ٢٦٣، ومصارع العشاق للسراج القاري البغدادي (ت ٥٠٠هـ)، دار صادر، بيروت، ٢: ١٩٧.
٣٠- العقد الفريد لابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٤هـ، ٤: ٣٠٤، ومحاضرات الأدباء ١: ٦٤٥، وحدائق الأزاهر لأبي بكر بن عاصم الغرناطي (٨٢٩هـ)، تحقيق: عبد اللطيف عبد الحليم، دار الوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٥، ص٣٢٩.
٣١- العقد الفريد ١: ٢٢٠، والبصائر والذخائر ٩: ٢٨، وحدائق الأزاهر ص٣٣٨.
٣٢- حدائق الأزاهر ص٣٠٦.
٣٣- محاضرات الأدباء ١: ٧٧٩، والمقتطف من أزاهر الطرف ص١٩٤.
٣٤- التذكرة الحمدونية ٨: ٢٣٩، والمقتطف من أزاهر الطرف ص٢٠٧.
٣٥- الجليس الصالح ص١٤٥.
٣٦- الفرج بعد الشدة ٢: ٢٦٨، وحدائق الأزاهر ص٣٢٠.
٣٧- البيان البيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، مكتبة الهلال، بيروت ١٤٢٣هـ، ١: ١٧٤، وربيع الأبرار للزمخشري ٥: ١١٤، والتذكرة الحمدونية ٩: ٣٧٤.
٣٨- نهاية الأرب ٤: ٤. والمراح في المزاح لبدر الدين الغزي (ت ٩٨٤هـ)، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، ط١، دار ابن حزم، بيروت ١٩٧٧، ص٦٤. والخبر في: المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم، بيروت ١٤١٩هـ، ٣: ١١٥ تحت الرقم ٧٤٩.
٣٩- يُنظر: امتاع الأسماع للمقريزي (ت ٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٩، ١٠: ٦٧.
٤٠- العقد الفريد ٦: ٢٢٩، وحدائق الأزاهر ص٢٣٤.
٤١- البيان والتبيين ٢: ١٦٤، والعقد الفريد ٤: ٧٩.

٤٢- البيان والتبيين ٣: ١٨٨، وديوان المعاني لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، دار الجيل، بيروت، ١: ١٩٧، وربيع الأبرار ٢: ٣٧٥، وأخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، شرحه: عبد الأمير مهنا، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت ١٩٩٠، ص١٢٢.

٤٣- البيان والتبيين ٢: ١٧٠، ومحاضرات الأدباء ١: ١٧٧، والتذكرة الحمدونية ٩: ٣٨٠. ويقصد: سورة الفاتحة، وسورة الإخلاص، وسورة المسد.

٤٤- حدائق الأزاهر ص٢٣٥.

٤٥- زهر الأكم في الأمثال والحكم للحسن بن مسعود اليوسي (ت ١١٠٢هـ)، تحقيق: د. محمد حجي ود. محمد الأخضر، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء ١٩٨١، ٢: ٧٧.

٤٦- العقد الفريد ٧: ١٥٧، ووفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، دار صادر، بيروت، ٦: ١٨٨.

٤٧- التذكرة الحمدونية ٧: ٢٤١، ونهاية الأرب ٤: ١٥.

٤٨- جمع الجواهر في الملح والنوادر ص٥٥.

٤٩- حدائق الأزاهر ص٢٤٨.

٥٠- بهجة المجالس، القسم١، المجلد٢، ص٥٦١.

٥١- المعارف لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢، ص٤٥٠، ونثر الدر في المحاضرات لمنصور بن الحسين الرازي (ت ٤٢١هـ)، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤، ٢: ١٠٦، وحدائق الأزاهر ص٧٤.

٥٢- ربيع الأبرار ٢: ٦٧، والتذكرة الحمدونية ٩: ٣٦٨، والمراح في المزاح ص٨٥.

٥٣- محاضرات الأدباء ١: ٧٦، وأخبار الحمقى والمغفلين ص١٥١.

٥٣- حدائق الأزاهر ص٢٤٥.

٥٤- البيان والتبيين ٢: ٢٢٧، والوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث، بيروت ٢٠٠٠، ٩: ١٦٠.

٥٥- زهر الآداب وثمر الألباب للحُصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ)، دار الجيل، بيروت، ١: ٢٠٤.

٥٦- جمع الجواهر ص٤٩.

٥٧- بهجة المجالس، القسم١، المجلد٢، ص٥٥٨.

٥٨- عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ، ١: ٢٦٠، وخزانة الأدب لعبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٧، ١٠: ٢١٨.

٥٩- العقد الفريد ٧: ١٦٦، وحدائق الأزاهر ص٢٥٨.

٦٠- حدائق الأزاهر ص٦٩.

٦١- محاضرات الأدباء ٢: ٣١٥، والتذكرة الحمدونية ٧: ٢٣٤.

٦٢- زهر الآداب ١: ٣٢٨، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٣، ٦: ٢٦٠٣.

٦٣- حدائق الأزاهر ص١٣١.

المصادر والمراجع

١- بأخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، شرحه: عبد الأمير مهنا، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت ١٩٩٠.

٢- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، الاصدار الثاني للموسوعة الشعرية التي أصدرتها مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم بالإمارات.

٣- امتاع الأسماع للمقريزي (ت ٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٩.

٤- البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (ت ٤١٤هـ)، تحقيق: الدكتورة وداد القاضي، ط١، دار صادر، بيروت ١٩٨٨.

٥- بهجة المجالس لابن عبد البر القرطبي، تحقيق: الدكتور محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦- البيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، مكتبة الهلال، بيروت ١٤٢٣هـ.

٧- التحف والظرف لابن عبد المغيث الدارمي التميمي (ت: ٣٧٨هـ)، الاصدار الثاني للموسوعة الشعرية التي أصدرتها مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم بالإمارات.

٨- التذكرة الحمدونية، لابن حمدون البغدادي (ت ٥٦٢هـ)، ط١، دار صادر، بيروت ١٤١٧هـ.

٩- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، للمعافى بن زكريا (ت ٣٩٠هـ)، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٥.

١٠- جمع الجواهر في الملح والنوادر للحُصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ)، ط٢، دار الجيل، بيروت.

١١- حدائق الأزاهر لأبي بكر بن عاصم الغرناطي (٨٢٩هـ)، تحقيق: عبد اللطيف عبد الحليم، دار الوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٥.

١٢- خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٧.

١٣- ديوان المعاني لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، دار الجيل، بيروت.

١٤- ربيع الأبرار للزمخشري، تحقيق: عبد الأمير علي مهنا، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٩٢.

١٥- زهر الآداب وثمر الألباب للحُصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ)، دار الجيل، بيروت.

١٦- زهر الأكم في الأمثال والحكم للحسن بن مسعود اليوسي (ت ١١٠٢هـ)، تحقيق: د. محمد حجي ود. محمد الأخضر، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء ١٩٨١.

١٧- الزهرة لابن داوود الأصبهاني (ت ٢٩٧هـ)، تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن.

١٨- العقد الفريد لابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٤هـ.

١٩- عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ.

٢٠- غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة لأبي إسحاق برهان الدين المعروف

بالوطواط (ت ٧١٨هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٨.
٢١- الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت ١٩٧٨.
٢٢- المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم، بيروت ١٤١٩هـ.
٢٣- المحاسن والمساوئ لإبراهيم البيهقي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ١٩٩١.
٢٤- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، ط١، دار الأرقم، بيروت ١٤٢٠هـ.
٢٥- المراح في المزاح لبدر الدين الغزي (ت ٩٨٤هـ)، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، ط١، دار ابن حزم، بيروت ١٩٧٧.
٢٦- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للهروي (ت ١٠١٤هـ)، ط١، دار الفكر، بيروت ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٢٧- مصارع العشاق للسراج القاري البغدادي (ت ٥٠٠هـ)، دار صادر، بيروت.
٢٨- المعارف لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢.
٢٩- معجم الأدباء لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق: احسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٣.
٣٠- المقتطف من أزاهر الطرف، لابن سعيد المغربي، شركة أمل للطباعة، القاهرة ١٤٢٥هـ.
٣١- نثر الدر في المحاضرات لمنصور بن الحسين الرازي (ت ٤٢١هـ)، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤.
٣٢- نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق: عبود الشالجي، مكتبة المثنى، بيروت ١٩٧١.
٣٣- نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (ت ٧٣٣هـ)، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ١٤٢٣هـ.
٣٤- الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث، بيروت ٢٠٠٠.
٣٥- وفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، دار صادر، بيروت.